مادة الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

د. ميسون محمد عبد الواحد

المحاضرة السادسة

عنوان المحاضرة: (الشاعر عبد الله بن رواحة: حياته ، ومنزلته، وميزات شعره)

أولا- اسمه وحياته ومنزلته في الإسلام

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، ويكنى أبا محمد. وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة من بني الحارث بن الخزرج أيضًا. وكان في الاسلام عظيم القدر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم. أسلم عبد الله بن رواحة مبكراً ضمن من أسلم من أهل يثرب في العقبة الاولى ، وشهد بدراً ، والخندق ، والحديبية ، وعمرة القضاء والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده لانه قتل يوم (مؤتة) شهيداً، إذ كان أمير الجيش فيها لقد كان عبد الله بن رواحة مثالاً للشاعر المسلم ، فقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم- يترحم عليه، ويقول:**(رحم الله عبد الله بن رواحة إنه يحب المجالس التي يتباهى بها الملائكة)** يريد كثرة ذكره لله سبحانه وتعالى، وحديثه فيما يرضي الله في المجالس. وثمة شواهد كثيرة تدل على حمله لواء الشعر مدافعاً عن الدين ملتزماً بالدفاع عن الحق مثلما حمل سيفه وانطلق الى قتال الأعداء.

ثانيا- منزلته الشعرية عند النقاد ، وموضوعات شعره

اقترن عبد الله بن رواحة بشعر الجهاد والثبات على العقيدة والمبدأ ، ويتمثل في ابياته تمني الشهادة في اذهان المجاهدين ، وهم يتوجهون الى الموت بقلوب راضية مطمئنة ، وكان شاعراً عظيم القدر في قومه قبل الاسلام ، يناقض قيس بن الخطيم.

وقال عنه ابن سلام: وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم. ووصفه الآمدي: بأنه شاعر محسن فارس. ووصفه ابن عبد البر: بأنه أحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم. لقد كان عبد الله بن رواحة مصاحباً للرسول محمد –صلى الله عليه وسلم- ملازماً له ممتثلاً لتوجيهاته واعياً لإرشاداته في جعل الشعر وسيلة من وسائل

الدفاع عن الدعوة ، فحين أراد الرسول أن يوجه هذا الشاعر ليرد على افتراءات المشركين للنيل من الدعوة والمسلمين سأله سؤال مستفسر وهو (عليه الصلاة والسلام) يريد إلفات نظره الى الواقع الذي تعيشه الأمة الذي يوجب على كل فرد فيها ان يلتزم بالدفاع عن الإسلام وأهله ، سأله الرسول كيف تقول الشعر فيقول عبد الله : أنظر في ذلك فأقول ثم أقول ، قال: فعليك بالمشتركين.

وحين ينشد عبد الله الرسول بيت شعر في هجاء قريش:

فَخَبِّرونـــي أَثمـــانَ العَبـــاءِ مَتـــى كُنـتُم بَطـاريقَ أَو دانَت لَكُم مُضَرُ

ويرى سمات عدم الارتياح على وجهه يحس بأنّه لم يستطع أن يوجه شعره الوجهة التي أرادها الرسول وهي أن يكون ما يقوله الشاعر جزءً من عقيدته وسلوكه فلا فائدة من هجاء قريش بأبيات لا قيمة لها لأن ذلك لن يخدم الدعوة الاسلامية وان كانت الرواية التي فصلت الخبر أوردت قول ابن رواحة:(فكأني عرفت في وجه رسول الكراهة ان جعلت قومه أثمان العباء): فقال ابن رواحة مستدركاً:

نجالدُ الناسَ عن عرض فنأسرَهمْ فينـا النبـيُّ وفينـا تنـزلُ السُّـوَرُ

وقد علمتم بأنّا ليس غالبنا حيّ مـن النـاس إنْ عـزّوا وإنْ كثـروا

يـا هاشـمَ الخيـر إنّ الله فضّـلكم علـى البريّـة فضـلاً مـا لـه غِيَـرُ

الى ان يقول:

فثبّت الله ما آتاك مِن حسن تثبيتَ موســى ونصــراً كالــذي نُصِــروا

فاقبل على رسول الله، ثم قال – عليه الصلاة والسلام: وإياك فثبت الله .

وفي هذه الابيات غير مجراها من الفخر بالقبيلة الى الفخر بالامة ، فهو يفخر بلغة الجماعة دون أن يخص قبيلة الأوس أو الخزرج أو قريشا (نجالد الناس)، وفخره ينصب على نصرتهم للرسول – صلى الله عليه وسلم– ونزول القرأن الكريم بينهم.

أما تفضليه لبني هاشم على الناس ليس لمكانة قبيلتهم وإنما لانّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – المبعوث منهم، وكرم الانصار لانّهم نصروه. أمّا المعاندون من

مشركي قريش فقد خذلوه ، وعوضه الله عنهم خيراً ، وفي ختام أبياته ، يؤكد فكرة الاعتراف بنبوة الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشرية.

ولابن رواحة أشعار قصار في مناسبات شتى لا تخرج عن إطار الظروف العامة التي يمر بها أهل المدينة في حربهم مع المشركين ، ولكن الذي يهمنا أبياته التي صحبت خروجه الى الجهاد في آخر معركة سقط فيها شهيدا ، فهي تصلح مثالاً لقصص البطولة والجهاد ، ويكاد كل موقف من مواقف البطولة الذي سار فيه ابن رواحة الى (مؤتة) قد عبر عنه بأبيات منذ استعداد جيش المسلمين للتوجه الى قتال الروم ، يصحبه وداع المسلمين لهم (صحبكم الله ودفع عنكم وردكم صالحين) إلا أن ابن رواحة كان يسأل الله الشهادة ، فيدفن بعيداً عن أهله وينال– رحمة الله– ودعاء المسلمين له إذا مروا بقبره وتذكروا جهاده، فقال:

لَكِنَّنـــي أَســـأَلُ الـــرَحمَنَ مَغفِـــرَةً وَضَـــربَةً ذاتَ فَـــرغٍ تَقـــذِفُ الزَبَـــدا

أَو طَعنَـــةً بِيَـــدَي حَـــرّانَ مُجهِـــزَةً بِحَربَـــةٍ تُنفِـــذُ الأَحشـــاءَ وَالكَبِـــدا

حَتّـــى يُقـــالَ إِذا مَـــرّوا عَلـــى جَـــدَثي أَرشَـــدَهُ اللَهُ مِـــن غـــازٍ وَقَـــد رَشَـــدا

ولابن رواحة شعر آخر في وداع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأبيات يصف مسير الجيش الى الشام واصرارهم على حرب الروم . على تمنيه الشهادة في سبيل الله ، ونراه في أبيات أخرى يخاطب ناقته متخيلاً نهاية رحلته السعيدة

:

إذا أدنيتنـــي وحملـــت رحلـــي مســـيرة أربـــع بعـــد العشـــاءِ

فشـــأنك فـــانعمي وخـــلاك ذم ولا أرجـــع إلـــى أهلـــي ورائـــي

ولقد بدأ عبد الله بن رواحة متعطشاً لنيل شرف الشهادة في مواقف كثيرة هذا يبين احساس الشاعر ابن رواحة بدنو استشهاده بأنه سبب كونه قائداً فارساً مدركاً طبيعة المعركة التي توجه اليها والرسول – صلى الله عليه وسلم –نفسه قد قدر خطورة المعركة حين عين ثلاثة قادة لهذه الغزوة. فقد عين الرسول جعفر بن أبي طالب أميراً للجيش فإن قتل فزيد فإن قتل فعبد الله بن رواحة – رضي الله عنهم

أجمعين.وحين تبدأ المعركة ويتولى جعفر بن أبي طالب– رضي الله عنه– إمارة الجيش يحس عبد الله بن رواحة– رضي الله عنه– بروحه الملهمة وإيمانه العميق أنها نهايته فإذا به بها يتقدم جماعته الى المعركة وكأنّه يسبقهم الى الجنة لا الى الحرب وأهوالها ويتمثل نعيم الجنة وشرابها البارد فيدفعه ذلك الى الاستماتة في قتال الأعداء متشوقاً إليها ويقول وهو يرتجل وكأنّه يشمُّ عطر الجنة، وفي ذلك يقول:

يـــــــا حبّـــــــذا الجنّـــــــةُ واقترابُهـــــــا

طيبـــــــــــةٌ وبـــــــــــاردٌ شـــــــــــرابُها

والـــــــــرّوم رومٌ قـــــــد دنـــــــا عـــــــذابُها

وفجأة ينتقل ابن رواحة انتقالاً سريعاً ليخاطب رفيقه الأول الذي سبقه الى الشهادة يخاطب جعفر بن أبي طالب وكأنّه يستشعر معه طيب الجنة وروحها وريحانها فيقول مخاطباً نفسه مثيراً فيها الحماس مؤججاً فيها الرغبة في الاستشهاد في سبيل الله .

أقســـــــــــمتُ بـــــــــــالله لتنزلِتـــــــــــه

طائعـــــــــــــــةً أو لا لتكرهنـــــــــــــــه

مـــــــــــالي أراك تكـــــــــــرهينَ الجنّـــــــــــة

قـــــــد طالمـــــــا قـــــــد كنـــــــتِ مطمئنّـــــــة

و نراه في مقطوعة أخرى يصدق عاطفته وعفويته في التعبير عن إحساسه في ذلك الموقف الحرج فهو يصور دون تكلف أو مواريه شدة المعركة التي جعلت نفسه تراوده بالإحجام ، ولكن إرادته القوية أو فلنقل إيمانه يدفعه الى كبت هذه المراودة بتساؤل إنكاري يزيح كل خوف وتردد من نفسه ، ثم يذكر نفسه بصغرها تكوينها وأصلها بينما تشمخ هذه النفس إذا تعالت على مادية الجسد، وطمحت بالخلود في الجنة أسوة برفيقيه زيد وجعفر– رضي الله عنهما، وفي ذلك نقرأ له:

يـــا نفـــسُ إلا تُقتلـــي تمـــوتي هـــذا حِمـــامُ المـــوتِ قـــد صُـــليتِ

ومـــا تمنَّيـــتِ فقـــد أُعطيـــتِ إن تفعلـــي فعلهمـــا هُـــديتِ

ويلاحظ في هذه المقطوعة صدق عاطفته ، وعفويته في التعبير عن إحساسه في ذلك الموقف الحرج .

ثالثا- أسباب قلة شعر عبد الله بن رواحة:

امتازت أشعار عبد الله بن رواحة بقلتها ، وقد حاول بعض الباحثين تعليل قلة أشعار ابن رواحة ، فذكر الدكتور يحيى الجبوري سببين **أولهما:** ضياع شعر ابن رواحة اعتماداً على ما رواه أبو الفرج الأصفهاني وهو أنّ أهون الشعر على قريش قبل الإسلام شعر عبد الله ، وأن أشدّ الشعر عليها شعر صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن مالك؛ لأنهما كانا يهجوان بالمثالب.

والسبب الثاني: هو قلة شعر عبد الله بعد الإسلام لأنه كان يتأثم من قول الشعر اعتماداً على مانقله ابن سعد من أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لعبد الله : إنزل فحرك بنا الرّكاب . قال : يارسول الله إنّي قد تركتُ ذلك

.

وأضاف باحث آخر سبباً **ثالثاً** رجحه على السببين السابقين وهو قلة ما وصل إلينا من شعر عبد الله بسبب قصر الفترة الزمنية التي عاشها في كنف الإسلام على خلاف صاحبيه حسان وكعب الذين امتد بهما العمر الى فترة متأخرة . ويبدوا أنّ شعر عبد الله بن رواحة قبل الإسلام وبعده قد ضاع معظمه شأنه شأن كثير من الشعراء الذين ذكرهم ابن سلام وعدّهم من الفحول ولا نجد لهم فيما وصل إلينا إلاّ أسمائهم.

رابعاً: ميزات شعر عبدالله بن رواحة

وإذا أردنا أنْ نتبين **ميزات** أشعاره على قلة ما وصل منها وجدناها تتمثل بما يأتي:

١- إنّ قصائده مقطوعات قصار لا قصائد طوال وهو يميل الى الرجز أكثر منه الى القصيد؛ بسبب ارتباطه بأحداث الحرب والنزال وصلاحية الرجز لمثل تلك المواقف .

٢- كما أنّه شعره خالٍ من المقدمات الطللية، فهو ليس كشعر حسان أو كعب تنوعت مقدماته أو اجتُزِئت فالمقدمة ملغاة عنده أساساً ، ولعل السبب في ذلك يرجع لارتباط شعره بظروف الحرب فلا مجال لديه ليراعي التقاليد الشعرية لأنّ شعره آنيٌ في ساحة المعركة .

٣- هجاؤه للمشركين قليل وما وجد منه فهو بعيد عن الفحش ونراه لا يصلح للهجاء من

خلال اخفاقه في اختيار الصور التي تحط من قيمة مهجويه ويصدق هذا على شعره الذي قاله قبل الإسلام وبعده ، والسبب لأنّه يتحلى بأخلاق الفرسان ويرى أن الهجاء فيه شيءٌ من الضِّعة ولا يليق به بوصفه فارساً .

٤- عاطفته فقد تجلت في أراجيزه وأشعاره المفردة التي تمثلت معاني الإسلام وتغَنَّت بالشهادة والرغبة في الجهاد .

٥- لغته بسيطة سهلة سلسة ليس فيها غريب ولا صنعة أو تكلف ويستوي في ذلك أيضاً شعره الذي قاله قبل الإسلام وبعده.